

محاضرات مقياس النظريات السوسولوجية الحديثة

شهد علم الاجتماع عبر تاريخه الطويل بروز عدة نظريات سوسولوجية والتي كان لها أهمية كبرى في تفسير وفهم الواقع المجتمعي المعقد. ونظرا لتعدد النظريات سنتوقف في محاضراتنا هذه عند ما صنف منها في خانة الكلاسيكية ونتطرق إلى أهم روادها ومفاهيمها الأساسية، وكذا أهم افتراضاتها العلمية.

أولا: النظرية الوضعية:

1/ ماهية الوضعية: أطلق اسم الوضعية أو المذهب الوضعي على المذهب الذي أسسه أوغست كونت، وهي بالمعنى العام ذلك الرأي القائل بأنه ما دامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة، فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل التجريدي لا بد أن يتم التخلي عنها لصالح المناهج التي جاءت بها العلوم الدقيقة. وقد تشكلت الوضعية كنسق متميز في تلك المرحلة اللاحقة للفلسفة النقدية السالبة كفكر له موقفه الإيجابي من الواقع لذلك تعرف عادة باسم الفلسفة الإيجابية « La philosophie positive » .

ويعود سبب نعت الوضعية بالإيجابية لكونها اتخذت موقفا إيجابيا من الواقع المعاش في تلك الفترة وذلك بعدم محاولة رفضه بالمطلق مثلما فعل التنويريون، وكذا التحول من نفي الواقع إلى الإيمان به والرغبة في تنظيمه بمعنى آخر أنها رضيت بما هو قائم وحاولت تنظيمه على أساس من الإدراك المنظم للعقل الباحث أي بواسطة العلم.

2/ الافتراضات الأساسية للوضعية: من بين الافتراضات الأساسية نذكر قانون الحالات الثلاث ومفاد هذا القانون أنه منذ وجد البشر حسب أوغست كونت وهم يحاولون فهم الطبيعة والإنسانية بيد أنهم لم يفكروا دائما بنفس الطرائق ولم يصلوا إلى ما هم عليه حاليا إلا عبر مرورهم بثلاثة أحوال أو عصور متتالية وهي:

1- **المرحلة اللاهوتية:** يحاول الإنسان في هذه المرحلة تفسير الحوادث بإرجاعها إلى مبدأ مشترك خارج الطبيعة وكانوا يفسرون كل ظاهرة تحدث بتدخل قوى غيبية خارقة.

2- **المرحلة الميتافيزيقية:** تفسر الحوادث بعقل أو مبادئ كامنة داخل الأشياء ذاتها، وما هذه العلق والمبادئ سوى معان مجردة وألفاظ أوجدها التخمين العقلي وجسدها الظن وجسمها الخيال.

3- **المرحلة الوضعية:** انصرف الفكر البشري في هذه المرحلة عن المواضيع الفارغة وكف عن التأملات الميتافيزيقية وقصر اهتمامه على ملاحظة الظواهر بواسطة الحواس والتركيز على العلاقات التي تربط بينها في العالم، وبذلك توصل إلى القوانين التي تتحكم في الظواهر والوقائع، وتجمع شتاتها وتجعلها في متناول الإنسان فيستفيد منها فكرا وعملا وهذه المرحلة تمثل أرقى مراحل تطور الفكر البشري.

3/ الرواد والمفاهيم الأساسية: تأسست النظرية الوضعية على يد العالم "أوغست كونت" (1798-1857)، الذي كان مفتونا بنشوة المجتمع الصناعي والعقلانية العلمية، وفي سبيل تصور هذا المجتمع الجديد البارز، أراد أن يؤسس علما لما هو اجتماعي، سيعده فيما بعد "بالسوسولوجيا" SOCIO-LOGIE. حيث ظهرت هذه الكلمة للمرة الأولى عام 1839، وذلك في سياق فقرة من الدرس 47 من "دروس في الفلسفة الوضعية" لأوغست كونت. وفي الحقيقة كان كونت في البداية يرغب بشدة أن يطلق عليه تسمية "الفيزياء الاجتماعية" وهي التسمية التي سبقه إليها العالم كيتلي الذي فكر في تسمية "الفيزياء الاجتماعية" اصطلاحا على الدراسة الإحصائية للجماعات البشرية. ومن أهم المفاهيم التي ابتكرها نذكر:

* **الستاتيكا والديناميكا:** قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين هما:

- الستاتيكا (السكونية) الاجتماعية: تهتم بدراسة النظم والأبنية الاجتماعية من ناحية تكوينها وأدوارها في المجتمع، وقد حدد ثلاث عناصر تمثل وحدات استاتيكية وهي: اللغة- الدين- تقسيم العمل.

- الديناميكا (الدينامية) الاجتماعية: تختص بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الألي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها. أي أنها تدرس المجتمع الإنساني من ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال.

ثانيا: النظرية الوظيفية:

1/ ماهية الوظيفية: الوظيفية كنظرية ظهرت في العلوم الاجتماعية عموما من خلال المحاولات التي بذلها علماء الأنثروبولوجيا خلال القرن التاسع عشر من أجل فهم الرواسب الثقافية في المجتمعات البدائية، فهي ظهرت كرؤية منهجية في دراسات دوركايم Durkheim ومالينوفسكي Malinowski وراي كليف براون Radcliffe-Brown وكذا روبرت ميرتون وبارسونز، والذين اتخذوا من الوظيفية منهجا ورؤية في دراساتهم.

2/ الافتراضات الأساسية للوظيفية: تعددت الافتراضات التي قدمتها الوظيفية حول المجتمع نذكر أهمها:

• اعتبار المجتمع نسقا كليا مؤلفا من مجموعة من الأجزاء المتكاملة فيما بينها والمترابطة وظيفيا غايتها تحقيق أهداف النسق .

• تخضع الأنساق الاجتماعية لحالة من التوازن الديناميكي والذي يشير إلى قيام حالة إنسجامية و تلاؤمية مع التغيير الخارجي والتي تعوزها آليات التكيف و الضبط الاجتماعي.

• إن التوترات و الانحرافات و القصور الوظيفي يمكن أن تقوم داخل النسق غير أنها تحل نفسها بنفسها وصولا للتكامل و التوازن.

• يأتي التغيير من مصادر ثلاثة رئيسية هي : تلاؤم النسق و تكيفه مع التغييرات الخارجية ، و النمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي و الثقافي وكذا التجديد و الإبداع من جانب أفراد المجتمع.

• إن العامل الأساسي في خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق العام على القيم المشتركة.

• لأي نسق أربعة متطلبات لبقائه هي : التكيف و تحقيق الهدف و التكامل و تدعيم النمط وإدارة التوترات.

3/ الرواد والمفاهيم الأساسية:

1-3/ إميل دوركايم : Émile Durkheim (1858 – 1917) عالم اجتماع فرنسي، ويعيد في نظر البعض رائد الوظيفية في علم الاجتماع، وقد ذهب مالينوفسكي أبعد من ذلك حيث عده بمثابة الأب الروحي للمدرسة الوظيفية، أما بخصوص نزعه الوظيفية فقد برزت بشكل واضح في مؤلفه تقسيم العمل وتحديدًا في تعريفه للوظيفة من منطلق بيولوجي حيث عرفها بأنها نظام من الحركات الحياتية التي تسودها علاقات توافق وتهدف للاستجابة للحاجات. وكذا في إطلاقه صفة العضوية على التضامن الاجتماعي في المجتمعات الحديثة و اعتباره أن قيام أعضاء المجتمع "المؤسسات، النظم، الطبقات، الأفراد" بالوظائف الموكلة إليهم شرطًا لبقاء المجتمع واستمراره تماما كما يعد قيام أعضاء الكائن الحي بوظائفها شرطًا لبقاء ذلك الكائن.

1-3-1 ظاهرة تقسيم العمل والتضامن الاجتماعي : من خلال كتابه "تقسيم العمل" تناول نظام تقسيم العمل وما له من علاقة بظاهرة التضامن الاجتماعي والشعور الجمعي، وقد توصل إلى أن تقسيم العمل موجود في جميع المجتمعات إلا أنه يختلف من مجتمع لآخر، كما تناول أسباب تقسيم العمل وأرجع السبب الرئيسي لهذه الظاهرة إلى زيادة حجم وكثافة السكان. واستنادا لأبحاثه توصل إلى أن هناك شكلين من التضامن يسود المجتمعات القديمة والحديثة وذلك على أساس تقسيم العمل السائد فيها: **تضامن آلي و تضامن عضوي.**

3-2/ برونسلاف مالينوفسكي: Bronislaw Kaspar Malinowski (1884 – 1942) هو أنثروبولوجي بولندي،

عرف أنه أول من أدخل الأنثروبولوجيا الميدانية (الإمبريقية) وتطويره لتقنية الملاحظة بالمشاركة. وقد اعتمد عليها في إجرائه لدراساته اللاحقة مثل دراسة جزر تروبرياندي أو ما يعرف بـ" باحثون في غرب المحيط الهادي" عام 1922 و انصب جل تفكيره على المؤسسات و الطريقة التي تؤدي بها وظيفتها داخل المجتمعات التقليدية. وقد عارض أية محاولة لكتابة تاريخ الثقافات ذات التقاليد الشفاهية، إذ أنه كان يرى أنه يجب الاقتصار على الملاحظة المباشرة للثقافات خلال وضعها القائم، من دون وجود أية محاولة للعودة إلى أصول الثقافة الرئيسية، إذ أن ذلك يمثل تماشياً واهماً؛ لأنه لا يحتمل من إقامة الحجة العلمية عليه، كما انتقد العالم تذرير الواقع الثقافي الذي تنتهي إليه بعض بحوث التيار الانتشاري .

ولمواجهة التطورية المنصرفة إلى المستقبل، والانتشارية التي ترتبط بالماضي الثقافي اقترح مالينوفسكي أن تتم دراسة كل ثقافة من منظور متزامن، أي انطلاقاً من معطياتها المعاصرة لا غير باعتبار الحاضر يمثل المقطع الزمني الوحيد الذي يمكن لعالم الأنثروبولوجيا، أن يدرس من خلاله كافة المجتمعات الثقافية، بشكل موضوعي. وبما أن كل ثقافة تشكل بحد ذاتها نسقاً مترابط العناصر فمن غير الوارد دراستها بشكل منفصل. ومن خلاصة ما توصل إليه أنه في كل ثقافة من الثقافات تؤدي كل عادة وكل فكرة وكل معتقد ثقافي، وظيفة حيوية معينة وترتبط هذه الوظيفة بمهمة محددة ، إضافة إلى أنها تمثل جزءاً من الكلية العضوية غير القابلة للتعويض الثقافي. كما أن الثقافة تستجيب للحاجات المجتمعية بواسطة المؤسسات التي تمثل عناصرها المادية .

3-3/ راد كليف براون : Radcliffe-Brown (1881 – 1955) حاول على خلاف مالينوفسكي الدراسة العلمية

المقارنة للأنساق الاجتماعية عند الشعوب البدائية معتمداً على أفكار سبنسر التطورية. وقد أسهم إسهاماً ببناءً في دراسة البناء الاجتماعي وأنساق القرابة و تحليل وظائفها الاجتماعية ، وجمعت مقالاته العلمية ومحاضراته في ثلاثة كتب: "البنية والوظيفة في المجتمع البدائي" (1952)، "علم طبيعي للمجتمع" (1957)، "المنهج في الأنثروبولوجيا الاجتماعية" (1958). و قد عرف البناء الاجتماعي بأنه: شبكة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية ، و ثمة أجزاء مرتبة و متسقة تدخل في تشكيل الكل الاجتماعي ، وتتحدد بالأشخاص و الزمر و الجماعات و ما ينتج عنها من علاقات ، وفقاً لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل وهو البناء الاجتماعي.

أما الوظيفة بالنسبة له هو الدور أو الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل النسق الاجتماعي ككل ، و لكي يوضح هذه الفكرة استخدم المماثلة العضوية تماماً كما استخدمها هيربرت سبنسر ففي الكائن الحي نجد أن العضو البنائي (و ليكن القلب مثلاً) يؤدي دوراً أو وظيفة معينة في الإسهام الذي يقدمه لاستمرار الكل ، (منح الدم إلى كافة أنحاء الجسم) و استمرار وجود الكل يعتمد على العلاقات الوظيفية بين الأجزاء .

3-4/ تالكوت بارسونز: Talcott Parsons (1902-1979) عالم اجتماع أمريكي فرضت عليه ظروف

تكوينه الفكري أن يتجه اتجاهاً مغايراً لما كان سائداً في الأوساط السوسولوجية الأمريكية في ذلك الوقت و التي كانت تتميز بالإمبريقية بدون أي مصوغ نظري يعطيها معنى شامل. حيث اتجه بارسونز إلى المثالية الألمانية، والوضعية الفرنسية، والنفعية الإنجليزية محاولاً أن يخلق من امتزاجهم جميعاً موقفاً نظرياً جديداً. ولقد ظهر هذا الموقف النظري الجديد في كتاب بارسونز الأول " بناء الفعل الاجتماعي" والذي حاول فيه أن يوضح جوهر ما أسماه بالنظرية الطوعية في الفعل. ولقد وضع بارسونز في هذا الكتاب المبادئ الأساسية بالنظرية العامة للفعل وجاءت كل أعمال بارسونز التالية لتطويرها وإكسابها قدراً من الدقة والتنظيم.

3-4-1* نظرية الفعل الاجتماعي: يرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي ما هو إلا نسق معقد من السلوك يقوم به الفاعل

بصفة طوعية .، كما أنه يرى بأن كل " فعل اجتماعي " يشتمل على ثلاثة مكونات هي: الفاعل، الموقف، موجبات الفعل:

أولاً : الفاعل باعتباره الفرد الواعي الذي يقوم بأداء الفعل عن طريق استخدامه لفعله وذاته ، ويتم اتخاذ القرار من طرفه بصورة واعية وطوعية . .

ثانيا: الموقف يشتمل على عناصر متحكم فيها وتتمثل أساسا في الوسائل المتاحة التي يختار منها ما يشاء ، كما يحتوي على عناصر غير متحكم فيها وهنا تأتي ظروف المحيطة بالفعل و التي يكون فيها الفاعل مجبرا لاتخاذ قرار .

ثالثا: موجّهات الفعل : ميز بارسونز بين نوعين من الموجّهات:

➤ **موجهات الدافعية :** تتضمن مجموعة من الجوانب النفسية والغريزية التي توجه الفاعلين للقيام بأعمال أو أفعال أو سلوكيات تجاه الموقف الذي يواجههم ، وذلك من أجل لإشباع حاجاتهم أو متطلباتهم .

➤ **الموجهات القيمية:** ويعكس هذا النوع من التوجيهات عدد من المعايير والقيم التي يؤمن بها الفرد ويعتقدونها من خلال مجموعة المعتقدات والأعراف.

3-4-2*نظرية النسق الاجتماعي: حاول بارسونز أن يطرح عدة تعاريف حول النسق الاجتماعي وربما كان أوضحها تعريفه التالي الذي يرى فيه أن النسق الاجتماعي عبارة عن فاعلين أو أكثر يحتل كل منهم مركز أو مكانة اجتماعية متميزة عن الآخر ويؤدي دورا متميزا وبمعنى آخر هو عبارة عن نمط منظم يحكم العلاقات بين الأفراد وينظم حقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم البعض كما أنه يعتبر إطار من المعايير أو القيم المشتركة بالإضافة إلى أنه يشتمل على أنماط مختلفة من الرموز والموضوعات الثقافية المختلفة. ولبقاء النسق الاجتماعي يجب أن يفي بأربعة مستلزمات وظيفية أساسية وهي : الوصول إلى الهدف – التكيف – التكامل – دعم النمط إدارة التوتر.

أ- الوصول إلى الهدف: الفاعلين بداخل أي نسق اجتماعي يسعون إلى تحقيق أهداف ، وإلا ما كان هناك نسق أصلا ، ومع أن الفاعلين يشغلون مراكز اجتماعية مختلفة ، ويؤدون أدوارا مختلفة ، إلا أن هناك أهدافا جمعية يجب السعي إليها ، والعمل على تحقيقها ، والنسق السياسي (وهو يشتمل على مجموعة الأنشطة التي تتصل باتخاذ القرارات وتعبئة الموارد) هو من يقوم بوظيفة تحقيق الهدف أي أنه يرسم للمجتمع أهدافه ويعمل على تعبئة المواد الممكنة لتحقيق هذه الأهداف.

ب- التكيف: وهو يقصد به أن كل نسق فرعي داخل نسق أكبر (بناء جزئي داخل بناء اجتماعي كلى) عليه أن يخضع ظروف البيئة الاجتماعية والمادة لمشيئته ، ويسيطر عليها ، حتى يمكنه أن يستمر فيها ويحقق أهدافه ، وكذلك يجب أن تتكامل وظيفة النسق الاجتماعي الفرعي (البناءات الاجتماعية الأقل) مع وظيفة النسق الاجتماعي الأكبر ، كما ينبغي ألا تتعارض وظيفة أي نسق فرعي مع أهداف أي أنساق فرعية أخرى و النسق الاقتصادي (وهو يشتمل على مجموعة الأنشطة الخاصة بالإنتاج والتوزيع) يحقق وظيفة التكيف أي أنه يمكن المجتمع من خلال عملية تنظيم الإنتاج من أن يتكيف مع البيئة ويسيطر عليها لكي يستمر في الوجود.

ت- التكامل: ويعنى بالتكامل العلاقات التي تتم داخل النسق الاجتماعي بالذات ، وهو يرى أن دراسة العلاقات الداخلية بين أفراد النسق ذات منظور سوسولوجي أصيل ، وذلك لأن العلاقات الإنسانية تختلف عن العلاقات بين الكائنات الحيوانية والحشرية الأخرى . ونسق الروابط المجتمعية هو من يحقق وظيفة التكامل أي أنه يفرض التنسيق اللازم لاستمرار المجتمع بدون كثير من الفوضى.

ث- دعم النمط وإدارة التوتر: وهو يركز على الأسرة كنسق اجتماعي في التنشئة الاجتماعية حيث تقوم بتعليم الأطفال وتقبلهم للصيغ الفكرية والقيمية المميزة لنسق الثقافة مما يحقق التكامل المعرفي للفاعل مع القيم والمعايير والأبنية الاجتماعية للنسق ، كما أن الأسرة تساعد أفرادها على التعبير عن توتراتهم وتستجيب لمطالبهم ، وبذلك تخفف من التوترات ويترتب على ذلك أنها تساعد أعضاءها على أداء وظائفهم بقدر أكبر من الفاعلية ، و النسق الرابع الذي يقوم بوظيفة المحافظة على نمط المجتمع هو النسق الثقافي حيث يتم نقل ثقافة المجتمع بواسطة التنشئة إلى الأفراد الذين يستندمجونها وتصبح عاملا هاما في خلق الدفاعية للسلوك الملتمزم.

3-4-3/ روبرت ميرتون: ولد في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية " 1910- 2003. ومن أهم كتبه "النظرية الاجتماعية والبنية الاجتماعية". ظهر ميرتون في الفترة التي كانت فيها السوسولوجيا الأمريكية تقع تحت الهيمنة الكلية لتيارين كبيرين متناقضين: الاتجاه الامبيريقّي الذي يمثله بول لازارسفيلد، والاتجاه النظريّ الذي يمثله تالكوت بارسونز وقد عاب على بارسونز الانغماس المفرط في عمليّة التجريد وبناء النظريّات الكبرى الشموليّة، دون أن يلتفت إلى الواقع الميدانيّ، ودون أن يأخذ بما يوجد فيه من معطيات دقيقة يصعب على النظريّات العامّة أن تكتشفها على وجه الإطلاق. ومن هذا المنطلق وجد ميرتون أنّه لا بدّ للنظريّة من أن تحفّض جناحيها لتقترب من الواقع، وتعكسه بصورة صحيحة. وتأسيسا على هذه الرؤية نزع ميرتون إلى طرح مفهوم النظريات المدى المتوسط أو النسبية التي تجمع بين الواقع والنظريّة، ويرى ميرتون بأنّ نظريّة المدى المتوسط تمكّن الباحثين من فهم أعمق للظواهر الاجتماعيّة وقضايا التعرّب الاجتماعيّ.

1-3-4-3 نقد المسلمات الوظيفية: انطلق ميرتون في نقده للوظيفية الكلاسيكية من المسلمات الثلاثية الآتية:

- **مسألة الوحدة الوظيفية:** تشكل الوحدة الوظيفية إحدى المسلمات المركزية في النظرية الوظيفية المطلقة ، وتعني الوحدة الوظيفية أن المجتمع يشكل كتلة واحدة متكاملة ومتراصة وظيفياً، وأن لكل تكوين اجتماعي أو مؤسسة اجتماعية دوراً اجتماعياً محدداً كما يحدث في الجسد الحي. فعلى سبيل المثال يرى الوظيفيون أن للعائلة وظيفة واحدة أساسية هي الإنجاب والتنشئة الاجتماعية، وأن الدولة تضطلع بوظيفة واحدة هي المحافظة على النظام، وأن النظام التربوي يقوم بوظيفة واحدة تتمثل في إعداد الناشئة للحياة، وأن وظيفة الجيش هي الدفاع عن المجتمع... إلخ ويؤكد ميرتون رفضه هذه الأحادية الوظيفية، وعلى خلاف ذلك يرى بأن التكوينات الاجتماعية تؤدي عدة وظائف قد يكون بعضها معلناً مقصوداً وبعضها الآخر مضمرًا كما هو مقصود.
- **مسألة العالمية أو الكونية:** تقوم هذه المسألة الوظيفية على أن التكوينات الاجتماعية في المجتمع تؤدي وظائف إيجابية حتمية ضرورية في المجتمعات الإنسانية أياً كانت. ويأخذ ميرتون على مالمينوفسكي تأكيده المبالغ فيه بأن الأعراف والتقاليد والكيانات الاجتماعية القائمة في أي مجتمع تؤدي وظائف حيوية وإيجابية في المجتمعات الإنسانية على تنوعها، وهذا يعني أن جميع التكوينات الاجتماعية والثقافية القائمة في المجتمع تؤدي وظائف إيجابية. وفي معرض الإجابة عن التساؤلات التي طرحها حول فكرة الكونية أو العالمية يؤكد بأنها تتناقض مع ما نجده في العالم الحقيقي ويقر على نحو نقدي أن التكوينات الاجتماعية أو الثقافية قد يكون لها وظائف سلبية.
- **مسألة الضرورة الوظيفية:** تعني الضرورة الوظيفية بأنه لا يمكن للمجتمع أن يستغني عن أي من الوظائف الحيوية التي يقوم بها أي نسق اجتماعي في داخله، ويبني ميرتون في سياق نقده للضرورة الوظيفية أنه لا يوجد أي نظام مطلق الجواب، وأنه دائماً توجد إمكانيات للاستغناء عن أي وظيفة أو مؤسسة أو صيغة وظيفية ما لصالح صيغة أخرى. وللتعبير عن هذه الوضعية يستخدم ميرتون مفهوم البدائل الوظيفية الذي يفيدنا بأنه يمكن تحقيق وظيفة ما يقوم بها كيان اجتماعي ما بطرق مختلفة ووسائل متعددة ومؤسسات مختلفة في ظل الظروف المتغيرة.

2-3-4-3 الوظائف الظاهرة والكامنة: أعاد ميرتون صوغ مفهوم الوظيفة من منظور جديد حيث عرفها بأنها النتائج أو الآثار الناتجة عن التغيير الذي يلحقه المتغير آخر ، وهذه النتائج قد تكون إيجابية أو سلبية وعلى هذا الأساس ابتكر مفهومي الوظائف المعلنة والوظائف الكامنة وميز بينهما على وجهي التناقض. وبشكل هذان المفهومين إحدى المقولات الأساسية المركزية في نظريته الوظيفية. وقد ولدت هذه المقولة في السياق النقدي ضد المسلمات الثلاثة الكلاسيكية للنظرية الوظيفية المتمثلة في: الوحدة الوظيفية، والعالمية الوظيفية، والضرورة الوظيفية. ويمكن تعريف الوظائف المعلنة الصريحة بأنها الوظائف الإيجابية المقصودة والمتوقعة للأنظمة الاجتماعية، وتتمثل الوظائف الكامنة على خلاف ذلك في الوظائف غير المتوقعة وغير المقصودة لاشتغال الأنساق الاجتماعية.

كما يلفت ميرتون النظر إلى أن الأفراد العاديين يدركون الوظائف المعلنة المقصودة ويعرفونها، بينما لا يستطيعون إدراك الوظائف الخفية الكامنة وتلقى مسؤولية إدراك هذه الجوانب الوظيفية الخفية وتحليلها وكشف ملامساتها على عاتق علماء الاجتماع. وفي هذا السياق أيضاً يميز ميرتون بين نوعين من العواقب التي تنتج عن الوظائف الكامنة حيث هناك عواقب التي تؤكد وحدة المجتمع وتماسكه، وهناك عواقب أو مخلفات سلبية التي تنذر بالخطر، وتؤدي إلى نتائج ضارة بوحدة المجتمع وتماسكه، وقد تؤدي في نهاية الأمر إلى توليد الاختلالات الوظيفية.

- **الخلل الوظيفي:** يتمثل في العطالة الوظيفية للتكوينات الاجتماعية التي تنحرف عن تحقيق وظائفها الأساسية في تحقيق وحدة المجتمع وتماسكه وتضامنه.
- **البدائل الوظيفية:** يؤكد ميرتون أن النظام يمتلك القدرة على إبداع "بدائل وظيفية"؛ تقوم بوظائف جديدة مختلفة، لم يسبق تصورهما في الأصل، ويمكن لهذه الوظائف أن تفي باحتياجات النظام، وأن تكون في الوقت نفسه بديلاً لتشكيلات وظيفية قديمة.

3-3-4-3 أنماط التكيف الاجتماعي ونماذجها: وضع ميرتون نموذجاً وظيفياً للتكيف الاجتماعي يتكون من خمس وضعيات تفاعلية تتم وفقاً للكيفية التي يحقق فيها الفرد توازناً مشروعاً أو غير مشروع بين الأهداف الثقافية التي يسعى إلى تحقيقها والوسائل التي يعتمد عليها في تحقيق أهدافه وطموحاته:

- **النمط الامتثالي:** يتحقق النمط الامتثالي عندما تتوافق الوسائل المشروعة التي يعتمد عليها الأفراد مع الأهداف والغايات الثقافية المشروعة التي يسعون إلى تحقيقها،

- **النمط الابتداعي أو الابتكاري:** يعدّ النمط الابتداعيّ أو الابتكاريّ أحد أشكال التكيف السلبيّة الانحرافية في المجتمع. فالأفراد وفقاً لهذا النموذج يأخذون بالأهداف الثقافيّة، ويرفضون الأساليب المشروعة في تحقيقها.
- **النمط الطقوسي:** يرفض أصحاب هذا النمط الأهداف الثقافيّة الاجتماعيّة (الثروة، المال، الغنى، النجاح المادّي، الثروة الخ) ولكنهم يراعون ويوافقون على الوسائل الاجتماعيّة المعتمدة في تحقيقها. أو أنّهم على الأقلّ يلتزمون بالوسائل المعتمدة تحت تأثير الضغط الاجتماعيّ. ويسود هذا النوع من التكيف في أوساط الطبقة الوسطى الدنيا، مثل صغار الموظّفين البيروقراطيين والعاملين في المؤسسات الحكوميّة.
- **النمط الانسحابي:** يمكننا وصف النموذج الانسحابي بأنه نموج الدراويش والمتصوفين والزهاد الذين يشعرون بغريبتهم الثقافيّة والاجتماعيّة، فيحاولون الانسحاب إلى ذواتهم للعيش في دوامات أفكارهم الخاصّة والتأمل في تطلعاتهم المفارقة لهذه التي تفرض نفسها في المجتمع.
- **نمط التمرد:** ويعد نمط التمرد من أخطر أشكال التكيف الاستلابي في المجتمع، فالتمرد كما يشي عنوانه يعني رفض كلي للقيم والعادات والتقاليد والقيم الثقافيّة والوسائل المشروعة التي يتبناها المجتمع في تكيفه الداخلي. ولا يكتفي أتباع هذا النموذج برفض الأهداف والوسائل معاً بل يعملون على استبدالها بقيم ووسائل أخرى.

ثالثاً: النظرية الماركسية:

1/ ماهية الماركسية: ظهرت الماركسية في سياق تاريخي تميز بالصراع النضالي والجدلي بين البورجوازية مالكة وسائل الإنتاج، والطبقة العمالية صاحبة القوة الإنتاجية، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، عصر الثورة الصناعيّة والعماليّة. وكان سبب هذا الصراع هو الظلم الذي كانت تعانيه الطبقة البروليتاريّة؛ من جراء عسف الطبقة البورجوازية وبطشها وتجبرها وتعنتها، إلى جانب ما كانت تمارسه من استغلال واستيلاء ومعاملة سيئة في حق هؤلاء العمال، وطردهم من أعمالهم ووظائفهم ومناصبهم

2/ المرجعية الفكرية للماركسية: تعتبر النظرية الماركسية من أهم الاتجاهات النظرية التي حاولت أن تقدم نظرة منظمة عن البناء الاجتماعي، والتغير الاجتماعي على أساس مادي، والحقيقة أنها كانت في البداية نظرية تحليل للنظام الرأسمالي ونقده، والبحث عن الامكانيات التاريخية لنقد وتجاوز الرأسمالية، بل أن هذا التحليل، حصره "كارل ماركس" نفسه، موضوعياً، في أوروبا الغربية، وكرّس مادة أبحاثه الأساسية للفترة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر. وتمثل الماركسية عموماً تأليفاً إبداعياً بين ثلاثة مصادر فكرية هامة هي: **الفلسفة الألمانيّة المثاليّة، الاقتصاد الإنجليزي، والاشتراكية الفرنسيّة.**

3/ الرواد والمفاهيم الأساسية: ولد كارل ماركس في الخامس من ماي عام 1818، ينحدر من عائلة مثقفة ميسورة الحال، درس الحقوق في جامعة بون ثم جامعة برلين واهتم بالفلسفة والتاريخ، وفي سنة 1841 قدم أطروحته الجامعية حول فلسفة أبيقور، وكانت مفاهيمه هيكلية بحتة، تأثر ماركس بكل من الاقتصاد الإنجليزي الذي ساد إنجلترا بعد الانقلاب الصناعي، والذي أسسه آدم سميث و دافيد ريكاردو اللذان أثارا نظرية القيمة في العمل وتأثر ماركس كذلك بالمذهب الاشتراكي الفرنسي وقد كان ماركس فيلسوفاً ومفكراً مادياً، وألف مع زميله فردريك انجلز، مجموعة من الكتب شرحاً فيها أفكارهما و يعدان أول المؤسسين للشيوعية الحديثة التي بدأت من ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبالعودة إلى خطط ماركس لكتابة "رأس المال" نجد ان البنية النظرية الماركسية كما أرادها ماركس، تشكلها ثلاثة مكونات نظرية عامة قادرة على تفسير مجمل الحياة الاجتماعيّة وهي: المادية التاريخية، الجدلية المادية والاقتصاد السياسي:

3-1 المادية الجدلية: أطلق على هذه الفلسفة اسم «المادية الجدلية» لتأثر كارل ماركس بالفلسفة الألمانيّة التي كانت سائدة في عصره، فأخذ عن (هيجل) الجدل وهو المتناقضات التي تنشأ في العقل الجمعي أولاً ثم تنعكس على أرض الواقع. وتقوم المادية الجدلية عند كارل ماركس على ركيزتين تتمثل الأولى في أولوية المادة على الوعي، كون الوعي نفسه هو نتاج تطور شكل أرقى من المادة (الدماغ البشري)، أما الثانية وهي أن هناك "قوانين" للديالكتيك تنظم عمليات الطبيعة والمجتمع والفكر. وهذا القوانين عند كارل ماركس هي ثلاثة:

أ) قانون وحدة الأضداد وصراعها: يقوم أساسا على أن كل شيء طبيعي وكل ظاهرة تشتمل على طرفي تضاد، وهذا يولد الصراع بينهما وهذا الأخير لا يقضي على وحدة الشيء أو الظاهرة، بل يقضي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الآخر فيحدث التحول وهو السبيل إلى التطور.

ب) قانون نفي النفي أو سلب السلب: وهو يفسر الاتجاه التطوري في العالم المادي، فتاريخ المجتمع الانساني يتألف من حلقات نفي النظم الجديدة للنظم القديمة، فقد قضى مجتمع الرقيق على الشيوعية البدائية، وقضى مجتمع الاقطاع على مجتمع الرقيق، وقضت الرأسمالية على مجتمع الاقطاع، ثم يأتي المجتمع الاشتراكي ليقضي على المجتمع الرأسمالي. وكل نظام يشتمل في نفسه على مبادئ كامنه في ذاته تكون هي سبب القضاء عليه، فالمجتمع الرأسمالي يحوي في ذاته على مبادئ نفيه و انهياره.

ج) قانون الانتقال من التغيير الكمي إلى التغيير الكيفي: يرى ماركس أنه عندما تتراكم التغييرات الكمية وتترايد، فإن التغيير الكيفي يكون طرديا له، كما يرى انه اذا اختفت الملكية الرأسمالية وهي الكيفية الاساسية للنظام الرأسمالي. وحلت محلها الملكية الاشتراكية، فأن نظاما جديداً يحل محل النظام الرأسمالي وهو النظام الاشتراكي.

2-3 المادية التاريخية: حسب كارل ماركس المجتمع ناتج من حركة المادة التي تشكل الطبيعة وخاصة أشكالها الطبيعية، وأن الإنتاج المادي هو أساس وجود المجتمع. فالرؤى السياسية، الأخلاقية، التشريعية والدينية تقوم على أساس الإنتاج وهو الأساس الاقتصادي للمجتمع وهذا الأخير يقوم على طبقات تعكسها المصالح المتضاربة. كما كان يرى على غرار هيجل أن التاريخ البشري، تاريخ واحد تشترك فيه كل الحضارات، والشعوب، وأن هذا التاريخ ينطوي على أنماط تقسيم عمل تطويرية: مشاعية، وعبودية، واقطاعية، ورأسمالية، وايضا شرقية (نمط الإنتاج الآسيوي القديم).

3-3 المفاهيم الأساسية:

الصراع الطبقي: حسب ماركس ، فالصراع هو الصراع الطبقي ، وسببه الملكية لوسائل الإنتاج والثروة عند طبقة اجتماعية وفقدانها في طبقة أخرى ، وزوال الملكية سوف يلغي الصراع في المجتمع القادم (المجتمع اللاتبقي) . ولحل الصراع هو حل التناقض بين الطبقة المالكة والطبقة الفاقدة للملكية (الطبقة البرجوازية الرأسمالية – المستغلة، والطبقة العاملة المستغلة) الوعي : يرى ماركس بأن وعي الناس ليس هو الذي يحدد وجودهم، إنما وجودهم الاجتماعي المادي هو الذي يحدد وعيهم ومنه فالوعي هو نتاج لعلاقات محددة، ضرورية ومستقلة عن إرادتهم، ومرتبطة بعلاقات إنتاج تطابق درجة معينة من تطور قواهم الإنتاجية المادية. والوعي الطبقي هو إنجاز (أي يجب "اكتسابه" أو الفوز به) تبعا لمسار البراكسيس الخاص باعضاء الطبقة . فعندما تصل قوى المجتمع الإنتاجية المادية إلى درجة معينة من تطورها، تدخل في صراع مع أوضاع الإنتاج القائمة، وفي هذه اللحظة تحل حقبة من الثورة الاجتماعية تمس الجوانب المادية و الجوانب العقلية أي الأشكال الأيديولوجية التي يدرك الناس في ظلها هذا الصراع ويجاهدون في سبيل فضه.

الاغتراب: هو نتاج للبناءات الاجتماعية التي تقهر الناس، وتترك عنهم جوهرهم الانساني ، فالاغتراب حسب ماركس هو ظرف متأصل في البناء الاجتماعي و الاقتصادي للرأسمالية. و بهذا المعنى ، فإن الاغتراب هو مرتبط بالعمل ، فقوة العمل تحدد إنسانية العامل، لكن نظام الرأسمالية يشوه العمل ، بحيث تحول العامل إلى شيء (أداة / وسيلة إنتاج) التي تعود لصاحب راس المال و ليس للعامل.

الإيديولوجيا :يعرفها ماركس وإنجلز في كتابهما (الأيديولوجيا الألمانية) أن الأيديولوجيا عبارة عن نظام للأفكار الباطلة التي يمكن اعتبارها ثانوية وغير متصلة بحقيقة ثابتة (لأنها مجرد امتداد للبناء العلوي للطبقة الحاكمة) وأنها مجرد محاولة لتبرير السيطرة الطبقيّة ، فأفكار الطبقة الحاكمة هي في كل زمن الأفكار الغالبة والمسيطرة، ولذلك فإن الطبقة التي تمثل القوة المادية المسيطرة في المجتمع هي دائما وفي نفس الوقت القوة الفكرية المسيطرة، وعلى ذلك فإن الأيديولوجية هي تشويه للحقائق بقصد تبرير موقف الطبقة الحاكمة وقد لقبها إنجلز بأنها (وعي زائف)

براكسيس : الحياة الاجتماعية في نظر ماركس يجب أن تكون عملية لهذا ابتكر مفهوم البراكسيس الذي يدل على مجموع النشاطات الموضوعية الحسية مثل الإنتاج والتربية والفن والإدارة التي تهدف إلى تغيير الطبيعة والمجتمع، وفي هذا الصدد يقول ماركس «لقد أن للفلسفة أن تعمل على تغيير العالم، لا أن تقتصر على تفسيره وتأويله».

رابعاً: النظرية البنوية:

1/ **ماهية البنوية:** تُعرف " البنوية (Structuralism) " كنظرية في الانسانيات أو الدراسات الثقافية ،وكانت قد ظهرت اكااديمياً لأول مرة في القرن التاسع عشر ثم عاودت الظهور في النصف الثاني من القرن العشرين حيث بدأت كحقل اهتمام أكاديمي في حدود العام 1958 وبلغت ذروتها في ستينيات هذا القرن وسبعينياته ، وتطورت لتصبح المقاربة الأكثر شيوعاً في الحقول الأكاديمية المعنية بتحليل اللغة والثقافة والمجتمع . وظهر مصطلح " البنوية " نفسه في أعمال العالم الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي شتراوس وتسبب في نشوء " الحركة البنوية " في فرنسا ، والتي حفزت أعمال مفكرين من أمثال ميشيل فوكو ولويس التوسير والمحلل النفسي جان لاکان بالإضافة إلى أعمال الماركسية البنوية .

2/ الافتراضات الأساسية للبنوية:

- تنطلق البنوية من مبدأ نظري فكري أنه من الممكن اعتبار الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية و الانسانية ، كبنى ذات مغزى أو دلالة آلية ، ولهذا فإن تحديد الموضوعات التي يتم دراستها لا يكون حسب الخواص أو السمات الملازمة لها ، بقدر ما يكون وفقاً للعناصر المكونة لهذه البنية و لعلاقتها ببعضها البعض وباختلافها عن العناصر الأخرى. أي أن البنية هي ذات استقلال داخلي تحدده العلاقات الداخلية التي بين مكوناتها وذلك بمعزل عن أية عناصر خارجية، ، والسياق الخارجي. واستناداً للمنطلق السابق وجب تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية تفاعل (العلاقات) أجزائها التي تكونها (البنية) وليس الأجزاء بحد ذاتها ، وعليه فالجزء تتحدد ماهيته داخل الكل.

3/ **الرواد والمفاهيم الأساسية:** Claude Levi-Strauss (1908-2009) عالم أنثروبولوجي فرنسي وأحد أعمدة الفكر البنوي، تلقى ليفي شتراوس تعليمه الجامعي في السوربون وتخرّج في كلية الحقوق عام 1931. ثم التحق بالبعثة الجامعية الفرنسية في البرازيل حيث أصبح أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة ساو باولو في الفترة 1935 - 1939، وهي الفترة التي قام فيها بعمل أبحاث حقلية إثنوجرافية بين قبائل البورورو في وسط البرازيل والتي على أساسها أقام نظريته في علم الأساطير. من أهم كتبه الأبنية الأولية لعلاقات القرابة (1949) الذي بلور فيه نظريته حول التبادل. وكذا كتاب الأنثروبولوجيا البنوية (1958) الذي بلور ليفي شتراوس فيه نظريته الأنثروبولوجية حول البنية متخذاً اللغويات نموذجاً يُحتذى به. ثم صدرت له مجموعة من الدراسات بعنوان الأساطير أو مقدمة لعلم الميثولوجيا (1964 - 1971) في أربعة أجزاء.

ومن بين المفاهيم الأساسية التي اشتغلت عليها البنيوية هو مفهوم البنية الذي ظل حتى القرن 17 محصوراً على استعمالات ذات الإطار المعماري. وفي أواخر بداية القرن 20 غدا اللفظ مفهوماً ملازماً للنظرية البنيوية وأصبح من الممكن رؤية البنية على أنها تتواجد ضمناً في العلاقات والمؤسسات الاجتماعية.

البنية لغوياً : يقصد بها تكوين الشيء أما اصطلاحاً فيقصد بها شيء منتظم له صورته الخاصة ويشتمل على نسق من المعقولية بالقياس إلى المجال التاريخي. أما سوسيولوجياً فقد عرفها كلود ليفي شتراوس بأنها نظام آلي له ميكانيزماته الخاصة التي تعمل بطريقة رمزية لاشعورية تكمن خلف العلاقات المدركة وتعمل عملها من وراء الوعي المباشر للأفراد وهي لا تتحدد بمكوناتها بل بالعلاقات الداخلية للعناصر والمواقع التي يحتلها كل عنصر ، والعلاقات هي التي تعطي البنية طبيعتها وشكلها ومسارها. إن من بين ما نستخلصه من تعريف كلود ليفي شتراوس هو أن البنية لا ترتبط بالواقع التجريبي المحسوس بل موجودة على مستوى البنى العقلية فيما وراء المعطيات المباشرة .

خصائص البنية :

- 1- الكلية:** بمعنى أنها لا تتألف من عناصر خارجية تراكمية مستقلة عن الكل بل تتكون من عناصر داخلية خاضعة للقوانين المميزة للنسق .
- 2- التحولات:** البنية لا يمكن أن تظل في حالة سكون مطلق بل تنطوي على ديناميكية ذاتية تتألف من سلسلة من المتغيرات التي تحدث داخل النسق أو المنظومة .
- 3- التنظيم الذاتي:** يعني أن البنية كلٌّ متماسك لها قوانينها وحركتها وطريقة نموها وتغيرها الخاصة بها ، وبوسعها تنظيم نفسها بنفسها.

- 1/ أنتوني غدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،
- 2/ جاك هارمان : خطابات علم الاجتماع في النظريات الاجتماعية ، ترجمة العياشي عنصر، دار المسير للنشر والتوزيع ،عمان.
- 3/ بيار دوران : علم الاجتماع المعاصر ، ترجمة طواهرى ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع، لبنان
- 4/ عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة.
- 5/فليب كبان،جان فرانسوا دورتيه ، علم الاجتماع ،من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، اعلام وتواريخ و تيارات، ترجمة أياس حسن ،دار الفرقد للطباعة و النشر ، دمشق.
- 6/ دنيس كوش : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة منير سعيداني ، مركز دراسات الوحدة العربية.
- 7/إبراهيم ، زكريا، مشكلة البنية أو أضواء على "البنوية"، دار مصر للطباعة، الفجالة .
- 8/محمد مجدي الجزيري ، البنوية و العولمة في فكر كلود ليفي ستروس ، دار الحضارة للنشر و الطباعة ، طانطا
- 9/سايمون كلارك، أسس البنوية نقد ليفي ستروس و الحركة البنوية ، ترجمة سعيد العليمي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة.
- 10/ عبد الكريم الحوراني : النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي ، عمان .
- 11/إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة 244 . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .1999
- 12/ إيميل دوركايم : في تقسيم العمل ،ترجمة حافظ الجمالي ،الكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان .
- 13/ جونتان تيرنر : علم الاجتماع النظري ، ترجمة ماضي مطني الشمري ، دار جامعة الملك سعود للنشر .
- 14/ فيليب جونز : النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية ، ترجمة محمد ياسر خواجه ،مصر العربية للنشر والتوزيع .
- 15/ فكروني الزاوي ، محاضرات مقياس النظريات الحديثة " السنة الثانية علم الاجتماع".